

رحلة بين الجبال

في

معاقل الثائرين

صحفي اجنبي يصف مشاهداته في شمال فلسطين
خلال الثورة العربية الاخيرة

نشر تباعاً

في الجامعة الاسلامية

- الجزء الاول -

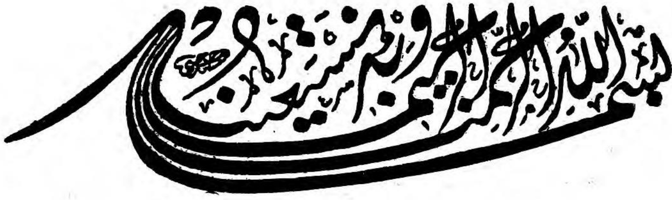
ثمن النسخة ـ ٢٠ ملا فلسطينيا

١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م



مطبعة الجامعة الاسلامية ـ يافا

رحلة بين الجبال



مقدمة هذا الكتاب

لعل احسن اثر قدم للقضية العربية الفلسطينية في مرحلتها الاخيرة هوهذه الفصول التي كتبها صحفي اجنبي اشترط علينا كتمان اسمه ، وذلك بعد ان قام بجولة شاقة في جبال فلسطين الشمالية حيث يرابط فريق مؤمن من ابناء العروبة مجاهداً في سبيل الله والوطن .

وقد خص هذا الصحفي الفاضل (الجامعة الاسلامية) بما يكتبه في وصف ماشاهد واخذنا نحن ننشر تلك الفصول في (الجامعة الاسلامية) تباعا ، فتلقاها الناس على ما فيها من اعتدال تقتضيه الحال ، بمزيد الشغف واقبلوا عليها اقبالا ظهرت ادلته في طلب الكثيرين بالحاح ، ما ليس لديهم من النسخ التي نشرت فيها الفصول المتتابعة ، ولكن من اين لنا ان نجيب الطلب وليس لدينا شيء مما يطلبون ؟

لذلك رأينا ان نجمع ما نشرناه وما لم ننشره في الجريدة للان ، في كتيب يسهل اقتناؤه على الكبير والصغير من فتيان الوطن وفتياته ، فيبقى لديهم تذكاراً لجهاد عظيم خط لعرب فلسطين في التاريخ صفحات تبقى على الدهر نواصع خوالد ويريهم صورة واضحة من جهاد فريق من اخوانهم باع في سبيل الوطن حتى النفوس .

فهذا الكتيب الذي نقدمة للقارئين والقارئات هو على ما نظن خير هدية تختار في هذه الاحوال وانا لنرجو ان نكون قد قمنا بواجب كان فيه ذلك الصحفي الاجنبي الفاضل سابقاً وكنا لاحقين فوجب علينا ان نتوجه اليه في مقدمتنا هذه بالشكر الجزيل والثناء العميم للاثر الذي قدمه ولليد التي اسداها والله الموفق الى مافيه الخير والصواب ؟



رحلة بين الجبال

في معـــاقل الثائرين

صحفي اجنبي يصف مشاهداته في الشمال

قال الصحفي الاجنبي :

زرت منذ مدة جهات فلسطين الشمالية حيث تغلي مراجل الثورة العربية وقد رأيت ان اكتب مشاهداتي عن هذه الزيارة في هذه الفصول الممتعة التي احببت أن اهديها الى جريدة الجامعة الاسلامية لما تأكدته في اثناء جولتي من تعلق المجاهدين وأفراد الشعب الفلسطيني العربي بها وهي في ما يلي :

العلم العربي المقدس

قبل ان امتطي السيارة لاقوم بهذه الجولة الخطرة التي خطرت لي اشار علي احد معارفي من العرب بألا اسير في البرية دون ان ارفع على سيارتي العلم العربي كي يحميني من رصاص الثائرين

ركبت السيارة ويممت اولا نحو جبل القدس وابرز ما رأيته في طريقي هو هذه العتاد البريطانية من مصفحات ودبابات ومدافع رشاشة وانواع اخرى من السلاح الثقيل مع فرق من الجنود كثيرا تكاد تفترحر كتها ، وقد ثبت لي انه اصعب من المستحيل ان نستطيع الاستفهام عن شيء من قادة الجنود الذين تظهر على وجوههم صرامة الجندية باشد مظاهرها ولاسيما عندما يوقفونك ليفتشوك او ليسألوك الى اين ذاهب، فهم يخافون ان تنقل الى الثائرين اخباراً تعرقل مهمة الجيش

حيث يقيم المجاهدون

ولما درجنا بين الجبال شعرت برغبة في ان ارى بعض اولئك الذين يسميهم العرب مجاهدين لانهم هجروا في سبيل الدفاع عن عروبتهم طيبات العيش في المدن وفضلوا عليها شظفه في رؤوس الجبال ولكنني كنت اعلم صعوبة ذلك لانه حتى الطائرات تعجز في اكثر الاحيان عن اكتشاف اماكنهم

عربى مسلح على قارعة الطريق

غير انه قبل ان انتهي من هذا التفكير برز امامي شاب يرتدي البسة عربية جذابة ويتنكب بندقية حربية ويضع على صدره «جنادين» من الخرطوش متعاكسين وعلى حزامه ثالثاً وكلها تلمع تحت اشعة الشمس فتؤلف منظرا يستهويك بتألقه وبريقه وقد رأيت الشاب المسلح يهتف للعلم العربى الذي شاهده على مقدمة السيارة هتافا ما كدنا نسمعه حتى غابت السيارة المسرعة في احد المنعطفات

فدائى !!

وشعر السائق وهو عربي باني دهشت لان هذا الشاب المسلح يسير على قارعة الطريق فى رابعة النهار دون خوف ولا وجل فاراد ان يزيل دهشتي فاخبرني ان هذا من اولئك الفدائيين الذين يعهد اليهم بنسف الجسور ووضع الالغام في وسط الطريق لنسف سيارات اليهود والجند

هذه نابلس

واشرفنا على بلدة جيدة البناء تكتنفها الجبال وتقوم في الطريق خارجها ثكنات للجند والدوريات تروح وتجيء بكثرة فقال السائق هذه نابلس

هذه نابلس ؟؟ ليس هذا الاسم غريبا عن كل من اقام فى هذه البلاد يوما واحدا فقد كانت ابنة الثورة البكر ومنها خرج اول ثائر الى الجبال وفيها لقى الجند الاهوال التى لم يلقها في سواها حتى اصبح اسمها يروع. هي بلد عربى خالص ليس فيه من اليهود الا افراد معدودون من السامريين وهؤلاء لا يؤذيهم العرب لانهم بعيدون عن الحركة الصهيونية ويريدون ان يعيشوا بسلام غير طامعين بما ليس لهم فيه حق

بين الجنود والاسلاك

واعترضتنا في مدخل نابلس الاسلاك الشائكة وعندها اوقفنا الجنود واقبل علينا جماعة منهم يتقدمهم ضابط كبير وقد لاحظت ان العلم العربي الذي كان على مقدمة

سيارتي اثار اهتمامهم فافهمتهم القصد منه وابرزت لهم بطاقتي فمكنوني من اجتياز الاسلاك والسير بين خيام الجند المنصوبة على جانبي الطريق وبينها المعدات الحربية الكثيرة وتحيط بها اكياس من الرمل جعلت استحكامات للجنود فرأيت بذلك ما لا يعرف كثيراً عن ساحات الحروب ، واغرب من ذلك ان كثيراً من هذه الاكياس قد وضع في نوافذ البيوت الحجرية خارج نابلس حيث يعسكر الجند ايضاً

نابلس المستقلة !!

بعد دقائق دخلنا نابلس فاذا نحن ننتقل من حال الى حال بل من جو الى جو آخر يختلف عنه تماما وخيل الينا ان هذه المدينة ذات استقلال داخلي تام فالعربي يسير فيها كانما يسير في رؤوس الجبال لا يجرؤ على اعتراضه احد.

وسمعت رجلا يقول لاخوانه ان فلاناً (وسماه) قد خرج على الاضراب فاستقدم « طرداً » من البضاعة يريد فتحه فهلموا بنا "يه لنؤدبه ، وفي لمح البصر كر على دكان المذكور جمهور من الشبان ورفعوا بابه المغلق ودخلوه وبعد ان اتلفوا بضاعة الرجل عادوا فرحين يهزجون !

وطلبت في نابلس من شاب عربي تبدو عليه علامات النبل والنجابة ان يدلني على بعض الطرق فلبى طلبي بعد ان قال بخفة روح: بالطبع انت غير يهودي ؟!

وطلبت منه ان يقودني الى رئيس اللجنة القومية في نابلس ففعل واذا انا امام شخص تبدو عليه الهيبة والوقار ، وفي شرفة منزله التي تشرف على التلال والجبال والسهول والشارع العام جلسنا نتحدث

تحت الرصاص

وفي تلك الساعة مرت القافلة اليهودية المخفورة بالجند الانكليزي فتساقط عليها رصاص الثوار من رؤوس الجبال واسرع السائقون بالسير للنجاة بينما كان الرصاص متواصلا واكتفى حراس القافلة باطلاق رصاص مدافعهم الرشاشة على رؤوس الجبال حيث يصدر رصاص الثائرين

وخرجت من لدن رئيس اللجنة القومية بمعلومات خاصة ذات قيمة سأكتبها في ما بعد

فى حراسة العلم

خرجت من نابلس بعد ان ودعت مرافقي العربي وكان العلم العربي ما يزال على سيارتي وقد زعزعته شدة الرياح فامرت السائق بالوقوف ونزلت اصلح العلم بيدي لوثوقي اني اسير في حراسته بين تلك الجبال التي يحكمها المجاهدون العرب الذين يقدسون هذا العلم الخفاق.

وبعد قليل من نابلس مفترق طرق الى حيفا ويافا واسم المكان « دير شرف » وفيه مخفر رجاله من البوليس العربي وهؤلاء الشباب الذين يقفون بين واجبين ، واجبهم الوطني وواجبهم كموظفي أمن ، ابدوا لي من لطيف الاستقبال والوداع ما يجب ان يثنى عليه

حيث طارت الشرارة الاولى

وفي الطريق بين دير شرف وعنبتا جبال متعرجة عالية تنعطف الطريق بينها في عدة مواضع وفي احدى هذه العطفات التي قال السائق ان اسمها « لية بلعا » وقعت الحادثة الاولى في ليل ١٦ — ١٧ نيسان الماضي وانقدحت بعدها بيومين شرارة الثورة الحالية

وفي تلك الجهات جسر للسكة الحديدية التي كانت تصل الى نابلس رأيناه منسوفا نسفا كليا وادركنا من موقعه بين الجبال حيث يتحكم الثائرون سبب الغاء الادارة القطار الذي يسير على ذلك الخط وتركها الجسر بلا اصلاح ، وكنا نرى حفر الالغام المتفجرة في الطريق هنا وهناك فنعوذ نامن شرها

استغراب وريبة

وقبل وصولنا الى عنبتا كاشفت السائق العربي بامر كنت افكر فيه منذ فكرت برحلتي هذه وهو ان البس لباسا عربيا واركب فرسا اودابة واتجول بين الجبال لارى ما تشتاق كل نفس لرؤيته ولكن السائق اغبر قبل ان يجيبني وبدت عليه علامات الاستغراب والريبة بى وكنا في تلك الدقيقة قد وصلنا قرية عنبتا فوقفنا بالسيارة امام مقهى جلست فيه لادخن نارجيلة كلفتني قرشين فقط ... وقد رأيت نفسي قبل الفراغ من تدخينها في

وسط حلقة من العرب القرويين الاشداء الذين لم يكن ينقصهم شيء من اللطف معي لان السائق العربي اكد لهم انني غير يهودي

النارجيلة المغربية !!

وعندما وقفت بنا السيارة امام المقهى الصغير المتواضع في القرية وجدت هناك اناسا من العرب يدخنون النارجيلة بشكل استهواني فطلبت الى صاحب المقهى اعداد واحدة لي ، وهكذا كان ، وفي دقائق اصبحت ادخن النارجيلة وأتحدث اليهم ثم عاودتني فكرة الالبسة العربية فاستمع الى ما جرى بشأنها .

في المقهى

لم استطع الانفراد بشخص عربي لاسأله اعداد الملابس وخشيت ان انا طلبت هذا علناً أن لا أفوز بامنيتي ، أو يحصل بيني وبينهم سوء تفاهم ، وأخيراً وجدت وسيلة للانصراف من المجلس مع احدهم لقضاء حاجة في القرية وهناك تمكنت من مكاشفة هذا العربي بأمنيتي وأغريته باكرامية ادفعها له ، فأبدى استعداداً لاجابة طلبي ورفض قبول الاكرامية باباء مشهور عن هؤلاء العرب ...

في الدار

وبعد برهة قصيرة كنا في دار ذلك العربي الابي، وفي غرفة متواضعة من الدار جلسنا نتحدث في الموضوع ، وقد اطمأن قلبي فكاشفته بكل ما يجول بخاطري ، وأبديت له رغبتي في الوصول الى معاقل الثوار ومراكزهم وكنت انتظر أن أرى موافقة سريعة فخاب ظني وبدأ صاحبي هذا يسألني بحذر حتى خلت نفسي امام محقق عدلي ... وبعد جهد تمكنت من اقناعه ان عملي هو لمصلحة العرب والمجاهدين انفسهم ، وان نشر هذه الحقائق في صحف الغرب مما يفيد القضية ، فلما اطمأن الي وتأكد من حسن نيتي اجابني الى رغبتي وضرب لي موعداً !!

الموعد ...

وقد اتفقنا على ان اترك السيارة وبعد تغيير ألبستي وارتدائي الالبسة العربية التي هيأها لي نغادر المدينة مساء الى سفوح الجبال وقممها حيث معاقل الوار على ظهور الخيل

الكرم العربى

وعند ان نمتطي الخيل أعدت لنا مائدة عربية دلت على كرم واريحية اشتهر بها العربى فأكلنا وحمدنا الله ثم قدمت لناالقهوةالعربية الفاخرة

الى قمم المجد والفخار

وقبل المساء اعدت لنا الخيل فركبت وصاحبي وسرنا في طريق الجبال المتعرجة وقبل ان نبتعد كثيراً عن البلد طلع علينا ستة اشخاص مسلحون يركبون خيولا مطهمة فتبادلوا وصاحبي كلمة السر فانقسموا قسمين قسم تقدمنا على مسافة مئتي متر تقريبا ، والقسم الثانى تأخر عنا وظل يتبعنا على مسافة مئتى متر ايضا فملت الى صاحبي وسألته جلية الخبر ، فقال لي ان هذه دورية من الدوريات المخصصة لهذه المنطقة من قبل قيادة الثوار العليا وانهم سيرافقوننا حتى الدورية الثانية ثم يعودون ، وهكذا كان

مع الدورية الثانية

وبعد نصف ساعة تقريبا طلع علينا اشخاص آخرون مسلحون وكان الظلام قد خيم باجنحته على الجبال والوهاد ، فتبادلوا الاشارة ، ثم اقتربنا منهم ، واقتربوا منا وانتهى ذلك بسيرنا مع الدورية الثانية على الترتيب السالف الذكر . . .

وكان الهلع والخوف استوليا علي في هذه اللحظة اذ ان الجبال التي كنا نخترقها بخيولنا من طراز عجيب لم يسبق لي ان رأيت مثيلا لها فى حياتي والوديان التى اجتزناها ترعب الاسد وكنا نضطر الى الترجل عن خيولنا

ونمشي على اقدامنا لوعورة تلك الجبال والوديان وتعذر السير فيها كما ان الاعشاب الكثيفة الممتدة على مسافات بعيدة كانت تعيقنا وكثيرا ما كانت اشواكها تدمي ارجلنا واطرافنا وكان الظلام حالكا حتى اذا بعد احدنا عن الاخر بضعة امتار تعذرت رؤيته ، والحقيقة انني ندمت في سري على التطويح بنفسي ولم يبق لدي ادني امل في العودة سالماً ، وصارت الافكار والهواجس تنتابني ، فاترة افكر في زوجتي الجميلة ،واولادى الثلاثة وطورا اذكر والدي ووالدتي واخيرا سلمت امري الى الله وداومت السير صامتـــا لا انطق بكلمة

المفاجأة غير المنتظرة

وبعد ان مضى على سيرنا في هذه الوهاد مدة ثلاث ساعات وصلنا الى قمة جبل عال يشرف على جميع السهول التي تحيط بهذه الجبال ، فشاهدنـا الانوار الكشافة تسلط علينا من المستعمرات اليهودية فوجمت ، وقلت في في نفسي ، اذا نجوت الليلة من رصاص الثوار فلن انجو من نيران الجنود المرابطين في هذه المستعمرات واذا كشفونا بانوارهم ، فسيسلطون علينـا نيرانهم من المدافع الرشاشة ، فنذهب ضحية صاحبة الجلالة الصحافة !!

الجيش الصاخب

حولنا وجهة خيولنا الى منعطف الوادي وسرنا في اتجاه الهدف الذي جئنا من اجله الى هذه الاصقاع ، وفي لحظة واحدة وجدنا انفسنا محاطين بجيش لجب من الرجال المسلحين ، وكان منظرهم مرعبا حقا وبعد تبادل الاشارات مع رفاقنا المتطوعين لحراستنا ، رفعوا عنا نطاق الحصر ، واختفوا عن انظارنا ، وقد كنت متأكداً اننا لو لم نكن مصحوبين بالدورية التابعة لهم لقضى على حياتنا فى اسرع من لمح البصر

مواصلة السير

وقد واصلنا المسير فى الظلام الحالك في بطن احد الوديان الكثيفة الاعشاب والاشواك التي كانت تصل احيانـاً الى بطن الفرس . . عـدا

عن الصخور الناتئة ، والتعرجات والاخاديد ، وقد قلت في نفسي والله لو جاء عشرون الف مقاتل لمطاردة الثوار في هذه الجبال والوديان لاخفقوا ولما توصلوا الى نتيجة .

في المضيق

وبينما كنت احدث نفسي بمثل هذا مررنا في مضيق لا يمكن ان نجوزه الا واحداً واحداً وكادت فرسي تتحطم من جراء اصطدامها باحدى الصخور الناتئة العالية . فترجلت منها وسرت وسار وصحبي مشياً على الاقدام الى مسافة طويلة وعاودني الندم مرة اخرى ، وعاودتني الذكريات ...! وخطر لي ان هؤلاء المرافقين لابد انهم ضلوا الطريق ولا يريدون ان يظهروا ذلك ، لانني لم اكن اتوقع ان تكون المسافة بين الطريق العام ومعاقل الثوار بهذا المقدار ، اذ كنت اقرأ في الصحف انباء الهجوم اليومي على قوافل السيارات فكان يتراءي لي ان الثوار على مقربة من الطريق وهذا الاعتقاد الذي جعلني اقدم على هذه المغامرة .

بعد طول المسير

.. واذا اردت ان اشرح بالتفصيل جميع ما شاهدته في هذه الجبال لطال بي الشرح ولكنني اقول باختصار ان ثورة تنشب في هذه المواقع الطبيعية العجيبة ، ليس من السهل قمعها وقد كان وزير المستعمرات البريطاني على حق في تصريحه ان قمع حركات العصابات في هذه البلاد ليس بالامر اليسير . . . وبعد طول المسير اشرفنا على مواقع الثوار ..!!

حول مراكز الثوار

وفي اللحظة التي اصبحنا فيها بالقرب من مراكزهم، سلطت علينا الانوار الكهربائية العجيبة ، فكشفتنا بالطبع ، وهنا تبودلت الاشارات المعروفة بين الدورية ، والحرس فسمح لنا في التقدم بالترتيب السابق الذي اشرت اليه ، وبعد قليل كنا الى جانب الحرس (موقوفين) انا وصاحبي فقط اما القسم

الامامي من الدورية فقد دخل ضمن النطاق ، والقسم الاخير لبث وراءنا على بعد عدة امتار .

ليس الخبر كالعيان

ومهما اسرفت في الخيال والوصف ، فالواقع اعظم ، ذلك بان الحرس منظم تنظيما يفوق كل وصف وهو على اتصال دائم بالقيادة بواسطة تلفون يقال انهم يستعملونه لهذه الغاية ، وقد شاهدت مدفعا رشاشا منصوبا فى نفس المضيق الذي اجتزناه ، وكان الكشاف الكهربائي موضوعا على مسافه قصيرة منه وحوله الثائرون بالبستهم العسكرية وسلاحهم الكامل !؟

لبثت برهة وانا انتظر على احر من الجمر ، حتى انني لم اتمكن من التحدث مع صاحبي ، فقد استولى علي الرعب ، وقلت في نفسي ، لقد غامرت يا هذا ولكن انى لي الخلاص من هذه الورطة؟

ترجلوا ايها الضيوف ..

وفيما انا افكر في الامر ، والاوهام والشكوك تساورني تقدم الينا احد الحرس وقال : ترجلوا ايها الضيوف ، فترجلنا ثم تسلم فرسينا رجلان وسارا الى الشرق ، اما نحن فقد مشى امامنا ثلاثة من رجال الحرس فتبعناهم دون ان ينبثوا او نبث ببنت شفة ، وما زلنا سائرين وراءهم حتى وصلنا الى باب صغير فى سفح جبل ، لا يتجاوز علوه المتر الواحد فتأخر عنا رجال الحرس، وطلبوا الي والى رفيقي الدخول فأحنينا رأسينا ودخلنا

فى الزنزانة !!

وفي ذلك المكان المظلم ، الذى هو اشبه بالزنزانة ، وكان نور ضئيل ينبعث من فتيل صغير وكنا نحن الاثنين ننتظر من رجال الحرس ان يدخلوا وراءنا ليتكلم معهم ونتفاهم فلم يدخل احد منهم ولاحظت ان الباب قد اغلق علينا ، فاخذت السراج بيدي وطفت في ارجاء المكان فاذا هو بيت من الصخر ، وهو الجزء الامامي من مغارة كبيرة ، فسيحة الارجاء عميقة المدى لا يجسر اكثر الناس شجاعة على غشيانها

وجوم وصمت

ووجمت من هول الرعب . وخفت ان يكون في داخل المغارة وحوش تفترسنا ، فهرولت الى باب المكان لاتفقد الباب ، والغريب في الامر انني لم اجد هذا الباب قط وفتشت اركان المكان الاربعة فلم اعثر على الباب فقلت في سري على نفسي انا الجانى ! وما كان اغنانى عن هذه المجازفة !؟ لقد هلكنا وانقضى الاجل . اما صاحبي فلم يبد ولم يعد !! حتى ولم ينطق بحرف ، كانه هو الاخر اصيب بالوجوم فصمت

انقشاع الغمة

جرى هذا كله خلال دقائق معدودات خلتها سنوات وفجأة فتح الباب ، ودخل علينا رجال مسلحون تتقدمهم ثمانية اشخاص وبعد دخولهم اغلقوا الباب ، وأشعلوا ضوءاً كهربائيا ولاول لحظة تبينا وجوه بعضنا بعضا فرحبوا بنا اجمل ترحيب ، وكان في الغرفة مقاعد طبيعية من الصخر المنحوت فجلسنا عليها .

التحقيق الدقيق

وهنا بدأ احدهم الكلام وشرع يحقق معنا تحقيقا دقيقا ، ولما كان رفيقي لا يعرف عني اكثر مما اوضحت له اضطرب في الرد على اسئلتهم ولعل اضطرابه هذا قد خلق الشك في صدورهم وكانوا يتحدثون على مقربة مني ، فلاحظت ان الجدل كاد يحتدم وان الاصوات ارتفعت عن مستواها ، فتدخلت بالامر ، وتكلمت مع قائد المفرزة فاستمع لي ، وفي اقل من خمس دقائق اقتنع بان يصحبنا الى مقر الشيخ الوقور (???) احد قواد الثائرين

أحمد الله انى احسن العربية

وقد حمدت الله وشكرته لاني كنت احسن اللغة العربية نطقا وكتابة ولولا ذلك لما تمكنا من التفاهم ، فقد رويت لهم من الانباء الصحيحة ، ما أثلج صدورهم ، وجعلهم يطمئنون بعض الاطمئنان ، وقبل ان نغادر المكان

ذهب اثنان منهم الى مقر الشيخ (???) القائد ليبلغاه الامر ويستحصلا منه على الاذن لنا بالمثول بين يديه

فى فترة الانتظار

وشرعنا نتحدث فعلمت ان ذلك المكان هو احدى غرف السجن المعد للمذنبين ولكن لا يرسل احد اليه الا بعد محاكمته في المحكمة المختصة فاذا حكمت بادانته اقتيد الى السجن في الحال ؟ وقد تبين لي ان التنظيم في المعسكر دقيق وان الاوامر التي تصدرها القيادة تنفذ بدقة ، ولا يجرؤ احد على مخالفتها

:: صفيه

واطمأن المحدث الينا فحدثنا بهدوء وصراحة وامتد بنا الحديث حتى طوى اربعين دقيقة من الوقت جاءنا بعدها الاذن بالمقابلة فخرجنا وسرنا مع الجماعة ضمن نطاقين من الجند المسلحين والمنظمين تنظيما عسكريا مدهشا فما شعرت لا وانا ارفع يدي بالتحية العسكرية

امام شيخ وقور

ومرت خمس عشرة دقيقة ونحن نسير بينهم حتى خلت انني فى استعراض حربي الى ان وصلنا الى حضرة شيخ وقور عرفوني بانه الشيخ « ??? » فقام مرحبا بنا وصافحته بحرارة واحترام وجلسنا الى جانبه وحولنا جنود مسلحون وبعد قليل انصرف الجميع الا واحدا هو سكرتيره الخاص

حديث الى

وتقدمت عندئذ الى الشيخ الوقور باسئلتي الصحفية فاجابني عليها بلا تحفظ ولا تردد ويتلخص حديثه بما يلي : قال

« ثار العرب على الترك للحصول على حريتهم فاراقوا دماء صفوة رجالهم في سبيل ذلك وكان الحلفاء وقتئذ في حاجة شديدة لمعاونة العرب فاستنجدوا

بجلالة المغفور له الملك حسين وقطعوا له العهود بواسطة السر هنري مكماهون فاطمأن وحارب بجيوشه الى جانب الحلفاء الى ان تم لهم الظفر بفضل العرب وخبرتهم بمواقع البلاد ، وكان العرب عندما دخل الحلفاء بلادهم يعتقدون نهم يقابلون ملكا من ملوك الاسلام فاستقبلوهم بالرياحين والورود وبدلا من ان يقوم الحلفاء بتنفيذ ما وعدوا به العرب قلبوا لهم ظهر المجن واقتسموا بلادهم اقتساما يبعث على الاسف مما ادي الى ثورات متتابعة على هذه الحكومات التي فرضت سيادتها على البلاد دون رضى سكانها

في العراق وشرق الاردن وسوريا

وشعرت بريطانيا في العراق بسوء عاقبة هذا التجاوز فاعادت الى العراق استقلاله وتركت شرق الاردن امارة مستقلة وعقدت مؤخرا معاهدة تحالف مع مصر وحذت فرنسا حذو حليفتها فنزلت عند مطالب السوريين وهاهي تفاوض وفدهم لعقد معاهدة تحالف (كانت المعاهدة وقتئذ لم تعقد بعد)

لماذا ننصر فلسطين ؟؟

لم يبق في الميدان غير فلسطين ، فلسطين المنكودة الحظ التي كان نصيبها استعماران ، بل نيران في وقت واحد - نير الصهيونية ونير الاستعمار — وقد تحققنا ان فلسطين لا تستطيع انقاذ نفسها من هذه القوى المتضافرة فقررنا نصرتها وهكذا كان

الاذا نذنا ما نطلب

ولا يعجبن احد من قدومنا متطوعين بلا دافع لان الدافع موجود وهو المحافظة على الاماكن الاسلامية المقدسة وانقاذ اخواننا في القومية والدين واللغة الوطنية ، من براثن الصهيونيين وليعلم الجميع انه ولو اخفقت حملتنا هذه لا سمح الله وقضى علينا جميعا فستجدد هذه الحملات الا اذا اعطي العرب ما يطلبون

ابتغاء وجه الله

وبعد ان اسهب الشيخ الجليل حول هذا الموضوع صرح لنا بلهجة

المؤمن المطمئن : نحن جئنا الى هنا لنجعل طريقنا الى الجنة عن سبيل فلسطين ، لقد حضرت معارك كثيرة ، وكان الرصاص يتساقط علي كالمطر ولما لم يكتب لي الله الشهادة في كل هذه المعارك ، فقد بقيت حيا ارزق حتى الان ، وانا اشترك في هذا الجهاد ابتغاء وجه الله الكريم عسى ان يمن الله علي بالاستشهاد في هذه البقعة المقدسة ، فاكون من السعداء وهى أمنية كل فرد من اخوانى .

قدوم القائد

وفي هذه اللحظة ورد على الشيخ رسول يبلغه ان القائد الاكبر عاد من جولته وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ونصفا ليلا فقلت سبحان الله أفي هذه الساعة يعمل القائد خارج المقر ؟ قال بلى واكثر من ذلك

هيا بنا ايها الاخوان

ونهض الشيخ نهضة الاسد وقال . هيا بنا ايها الاخوان لمقابلة القائد فسرنا في معيته الى المقر حيث كانت عدة فرق من الرجال الاشداء تحيط به وبعد دقائق قليلة وصلنا الى المقر ولولا اننا كنا بمعية الشيخ لما استطعنا الوصول اليه بهذه السهولة

أفى يقظة انا ام فى منام ؟

والحقيقة انني دهشت واصبحت كالحالم لا ادري ان كنت في يقظة انا ام في منام ؟ فالمشاهد التي رأيتها فى هذه الليلة جعلتني اتمنى لو اقمت طويلا بينهم فاوافي جريدتى كل يوم بما يتوق القراء للاطلاع عليه ولكن انى لي ذلك ! وليس عندي من الوقت مايسمح لي باقامة طويلة كما انه ليست لدي الجرأة الكافية على مرافقتهم

فهؤلاء رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا كما جاء في القرآن الكريم الذى قرأته كثيراً في اثناء دراستي اللغة العربية بالجامعة

في المقر...

وفي مقر القائد جلسنا على مقاعد عربية اعدت للزائرين فنظرت يمنة ويسرة حولي حيث الرجال الاشداء « المسلحون » يجثمون كالاسود، وكانوا جميعا ينظرون الي شذراً ... فقلت كفانا الله شر هذه السفرة ...!!! وكأن القائد انتبه الى ذلك فبدأ يتكلم

اعتذار . ونبل

قال : اعتذر لاخواني عن تأخري الليلة في الحضور بالموعد المقرر . ذلك لان حوادث هامة اعترضتني في جولتي ، فاضطررت الى التأخر حتى الآن . ولكي لا تفوتنا هذه الليلة فسأوجز محاضرتي ما استطعت على ان اعود فاعرض عليكم ما أوجزته اليوم في ليلة اخرى

المحاضرة القيمة

ثم وقف بين هذا الفريق من الرجال ، والقى محاضرة عسكرية حربية ، كان يتدفق فيها كالسيل، ويقف بين آونة وأخرى عن الكلام ليرد على سؤال يوجه اليه ، او استيضاح يبديه احد الحضور ، وكنت أود ان آتي الى هنا على نبذة من اقواله القيمة ، ليفهم ابناء جلدتي في ديار الغرب المستوى الثقافي لهؤلاء الذين تنعتهم بعض الصحف المضللة بالاشقياء . وهم لعمري فيما رأيت وسمعت من خيرة الرجال علما واخلاقا

هل من شكوى ؟

وبعد ان انتهى القائد من القاء محاضرته ، سأل الجمع بصوت جهوري ، هل من شكوى يقدمها احدكم الى القائد ، فاجيب كلا .. ، ثم سأل القادة هل من شكوى قدمت لاحدكم من احد الاخوان ، فأجيب ايضا كلا

وبعد ان انهى القائد واجباته التي لحظت انها يومية... التفت نحونا ورحب بنا بلسان عربي فصيح ، محيياً فرددت عليه التحية بمثلها

الاجتماع القروي العام

وعلى اثر ذلك طلب الينا بلطف ان ننتقل الى مكان آخـر لان مؤتمر عاما قرويا سيعقد الساعة في ذلك المكان ، وكان هذا المؤتمر قد قرر من قبل ونشر عنه الشيء الكثير في جريدة الجامعة الاسلامية التي تنطق باسم الاكثرية الساحقة فى البلاد ولكن لم يعين الزمان والمكان ، فانتقلنا الى فريق ثان من الجماعات الذين رحبوا بنا اجمل ترحيب ، وحدثونا الشيء الكثير عن المواقع والحركات مما لا يتسع المجال لنشره هنا ، ولا بد من عودة الى هذا الموضوع فى فرصة اخرى .

القرار ...

... انقضي الاجتماع في منتصف الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وقـد وضع المجتمعون بيانا سياسيا ضمنوه الرد على بيان وزير المستعمرات البريطانى في صدد قضية فلسطين ، ولاهمية هذا البيان استحصلت بكل جهد على نسخة منه احتفظت بها وهذا هو :

رد على مجلس الوزراء الانكليزى

نذيع فيما يلي على عموم المجاهدين وعلى الرأي العام العربي والاسلامي والرأي العام العالمي البيان التالي رداً على بيان مجلس الوزراء الانكليزي الذي اذيع في مساء ٧-٦- ٩٣٦

من تدقيق البلاغ الذي اذاعته الحكومة البريطانية بتاريخ ٧ ايلول سنة ٩٣٦ عطفاً على تعيين قائد عام وارسال نجدات جديدة الى فلسطين ومن استعراض احوال هذه البلاد العربية منذ الاحتلال البريطاني حتى يومنا هذا تبين ان الحكومة البريطانية كانت وما زالت تتبع سياسة اللف والدوران ازاء الحقوق العربية في سورية الجنوبية وانها منذ تمكنت باخاديعها من فصل فلسطين عن سورية الكبرى وعزلها عن البلاد العربية المحررة وهي جادة في جعلها في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء وطن قومي يهودي على

حساب المصالح والحقوق العربية المهملة حتى ما اوجبه عليها صك الانتداب نفسه من التزامات دولية نحو العرب وهي :

مايقضي به صك الانتداب

«أ» اقامة حكومة مستقلة ومنفصلة عن الدولة المنتدبة يطلق عليها اسم حكومة البلاد (راجع المواد ١١و١٣و١٨و٢٨ من صك الانتداب)

«ب» ترقية انظمة الحكم الذاتي وتشجيع الاستقلال المحلي (راجع المادتين ٢و٣)

«ج» منع الهجرة اليهودية عند ما تلحق ضرراً بحقوق ومركز الاهالي (راجع المادة ٦)

وتعبير حقوق ومركز ورد مطلقا في هذه المادة بحيث يفهم من ذلك شموله الحقوق السياسية والكيان العربي في فلسطين دون قيد او شرط

بماذا استعاضوا عنه

ولكن يظهر ان الحكومة البريطانية المستخذية للصهيونية قد كانت وما زالت تتجاهل هذه الشروط الاساسية الخاصة بالتزاماتها نحو العرب وبدلا من اقرارها الحقوق الوطنية في فلسطين وتشجيعها الاستقلال المحلي قد استعاضت عن ذلك مدة ثمانية عشر عاما بادارة يهودية بريطانية تستمد وجودها وصلاحياتها من حكومة لندن رأسا ومن الوكالة اليهودية في فلسطين ، وجعلت همها ابطال العمل بالتزاماتها الدولية نحو العرب ارضاء لليهود الذين تمكنوا من تسخيرها لاطماعهم ففتحت لهم باب هجرة طاغية الحقت وما زالت تلحق اعظم الاضرار بحقوق ومركز الاهلين خلافا لصراحة المادة «٦» من صك الانتداب حتى لتكاد تزيح هذه الهجرة الطاغية الشعب العربي عن مركزه وتقضي على كيانه الموروث وحقوقه الوطنية المقدسة

توصيات اللجان لم تنفذ

ولقد كان مؤسفا للغاية ان تثابر الحكومة البريطانية على سياسه التحيز

واتباع خطة التهويد واجلاء الشعب العربي الموعود من قبلها بالاستقلال عن وطن أبائه واجداده حتى نتج عن ذلك اضطرابات دامية فى اوقات مختلفة اعقبها ارسال خبراء ولجان تحقيق بريطانية رسمية اجمعت على وجوب انصاف العرب فلم يؤبه لتقاريرها ولم تنفذ توصياتها بل ظلت السياسة البريطانية راكبة رأسها ممعنة في الكيد للعرب تعمل ليل نهار على زيادة المظالم بدلا من ازالتها حتي انتهي الامر بالعرب الى اليأس من انصاف الحكومة البريطانية الى اعتقاد جازم بسوء نيتها فكان لزاما عليهم ان يتحدوا هذه السلطة الاجنبية الغاشمة مهما كلفهم ذلك من ضحايا على اعتبارا تها سلطة غير مشروعة سواء بالنسبة لاخلالها بعهد جمعية الامم ام بالعهود والوعود الرسمية المقطوعة للعرب ام بمباديء الحقوق الطبيعية الواجبة الاحترام

الشعب العربي اضطر للعنف اضطرارا

ذلك ماجعل الشعب العربي في فلسطين يعلن اضرابه العام ويقوم مضطراً باعمال عنف الا ليهدد الحكومة البريطانية كما تزعم بل ليلفت نظرها ونظر العالم الى اعظم مظلمة عرفت في تاريخ البشر . بيد ان الحكومة البريطانية وقد فتحت عينيها على سيول الدماء واركام الاشلاء لم ترتع لضحاياها بل ظلت تحاول التغافل عما جنت واقترفت حتى اذا تقدم اليها زعماء العرب المعتدلون بمطالبهم الثلاثة المشروعة وهي :

المطالب الوطنية المشروعة

« أ » قيام حكومة وطنية مسؤولة .

« ب » منع الهجرة اليهودية منعاً باتاً لما الحقت وتلحق من اضرار بحقوق ومركز الاهالي .

« ج » منع بيوع الاراضي للاسباب نفسها .

عمدت على عادتها الى سياسة اللف والدوران معلنة بصراحة انها غير مستعدة لادخال تغييرات على سياستها حيال فلسطين وانها سترسل لجنة ملكية للتحقيق في حدود صك الانتداب مع العلم ان المطالب الثلاثة التي تقدم بها المعتدلون من العرب لم تكن في الواقع دعوة الى ادخال تغيير على السياسة البريطانية

الواجبة الاتباع حيال فلسطين كما يزعم مجلس الوزراء الانكليزي بل دعوة الى تنفيذ ما أجمع عليه خبراء بريطانيون ولجان تحقيق بريطانية رسمية. وإلى احترام الالتزامات البريطانية نحو العرب المثبتة في صك الانتداب المزيف نفسه وقد ورد فيه الاعتراف بحكومة مستقلة للبلاد الفلسطينية منفصلة عن الدولة المنتدبة (المواد ١١ و ١٣ و ١٧ و ٢٨) وتعد للوقوف وحدها (أي الاستقلال التام) عملا بالمادة (٢٢) من عهد جمعية الامم وفيه وجوب ترقية انظمة الحكم الذاتي (المادة ٢ و ٣) ومنع الهجرة اليهودية عندما تلحق ضرراً بحقوق ومركز الاهالي (المادة ٦) ولكن يظهر ان هذا كله مما تحاول الحكومة البريطانية تجاهله عمداً استبقاء للسلطة بيدها من جهة واذعانا لمشيئة اليهود وترويجا لاطماعهم من جهة اخرى حاسبة العرب سلعة من السلع تباع وتشترى

ما سوف يدفعونه ثمنه غالياً

اننا نأسف أسفا عميقا لتعسف الحكومة البريطانيه وتماديها في اطماعها الاستعمارية ولطغيان السلطان اليهودي على سياستها أزاء العرب وهي اذ تحاول وضع تسوية دائمة للمسألة الفلسطينية كما تدعي كان يجدر بها ان تصدر تصريحا رسميا بتأييد مطالب العرب المنطوية على اقل ما يمكن ان يطمئنهم على مستقبلهم وكيانهم الوطني بل انه لمن دواعي العجب ان لا تغتنم الحكومه البريطانية فرصة تدخل اصحاب الجلالة والسمو ملوك وامراء العرب وبعض كبار رجالهم بدافع من حسن النية والحرص على مستقبل علائق الامتين العربية والبريطانية فتصدر ذلك التصريح الرسمي المعقول تبريراً لوساطة اصحاب الجلالة والسمو في نظر الامة عندما يباشرون دعوتهم الى حل الاضراب أو توقيف أعمال العنف ، بل ان تفسير الحكومة البريطانيه لهذه الوساطة الشريفة كهدية بلا عوض وركوبها مركب التهديد الخشن والتحكم الممقوت واطالة أمد الفتنة بلا جدوى في هذا الجزء المقدس من بلاد العرب ان دل على شيء فانه لا يدل إلا على تقهقر السياسة البريطانية واستسلامها للتحكم الصهيوني والاطماع اليهودية استسلاما مطلقا كلما طال أمده زاد في اشتعال نار العداوة والبغضاء وأفقدها ثقة العالمين العربي والاسلامي وهي الثقة القيمة التي ستدفع الامبراطورية ثمنها غالياً في الشرق .

ليس الانتداب بعلاقة أبدية

لقد أمعنا النظر في موقف الحكومة البريطانية الفجائي من وساطة ملوك وامراء العرب وفي اشادتها على سبيل التهديد برحابة صدر السلطات البريطانية في فلسطين في الوقت الذي تزهق هذه السلطات أرواح الاهلين الآمنين وتنسف مدنهم وبيوتهم وتصادر اموالهم وحرياتهم وتروع اطفالهم كما أمعنت النظر في اقرارها ارسال نجدات عسكرية الى فلسطين ملوحة بالاحكام العرفية وباستعدادها لصب مظالم هذه الاحكام على رأس الشعب الآمن فاقتنعنا بان حكومة لندن ما زالت فريسة للمطامع الصهيونية التي تزين لها الاستمرار في خطة العسف والظلم ومصادرة الاماني القومية العربيه المشروعة توسيعا لشقة الخلاف بين الأمة العربية والشعب البريطاني وهي الخطة التي لا تتفق قط مع ما تدعيه الحكومة البريطانية في بلاغها الاخير من ان هدفها الدائمي هو تأمين وصيانة العلاقات الودية والثقة مع الشعوب الاسلامية. ومن دواعي العجب ان لا تدرك الحكومة البريطانية وهي الدولة المجربة ان القوة الغاشمة ليست هي الوسيلة الصالحة لاقامة سلم دائم في فلسطين بل هو العدل واحقاق حق الامة وان الانتداب ليس بعلاقة أبدية بل هو وسيلة من وسائل مساعدة الشعب الى ان يقف وحده متمتعا باستقلاله التام

فلسطين وحدها لم تمنح حقوقها

ان الشعب العربي الذي خاض غمار الحرب العالمية الى جانب الحلفاء معتمدا على عهودهم وشرف وعودهم بتحقيق حريته واستقلاله لم يعترف قط في سائر البلاد العربية المحررة بمشروعية الانتداب الذي فرض عليه فرضا لأغراض استعمارية مفضوحة بل رفضه وما زال يرفضه رفضا باتا . وان تجاريب ثمانية عشر عاما قد اثبتت فشل الانتداب البريطاني في فلسطين كما ثبت من قبل فشل الانتداب في البلاد العربية الاخرى حتى استعاضت عنه بريطانيا نفسها في العراق وفرنسا في سوريا الشمالية بمعاهده تعترف باستقلال البلاد التام ولم يبق من العدل او المنطق السياسي ان تظل فلسطين وهي جزء لا يتجزأ من البلاد العربية اقل حظا من اخواتها في ممارسة حريتها السياسية

وحقوقها الاستقلالية المؤيده بحكم الماده ٢٢ من عهد جمعية الامم ومبادىء الرئيس ولسن والتصريح البريطاني الافرنسي المشترك عام ١٩١٨ وعهود ووعود انكلتره الرسمية للعرب

العرب لن يتخلوا عن بلادهم

واذا كانت الحكومة البريطانية لا تنوي التخلي عن انتدابها كدولة مستعمرة تحاول استعباد فلسطين واستغلالها باسم الانتداب ووعد بلفور الباطل فان عرب فلسطين ومن ورائهم العالم العربي باسره قد اعتزموا ان لا يتخلوا عن بلادهم ووجودهم كامة تريد الحياة الحرة الشريفة مهما كلفهم ذلك من تضحيات وضحايا

لجنة التحقيق لا تحتاج الى التحقيق

ان لجنة التحقيق البريطانية الجديدة ليست فى الواقع بحاجة للتحقيق في ظلامات العرب وهى ترى مظلمتهم الكبرى بارزة في تجريدهم من حقوقهم وسيادتهم القومية فى بلادهم وحرمان فلسطين العربيه من حقوقها السياسية وادارتها ادارة مباشرة منذ الاحتلال البريطانى حتى يومنا هذا للتمكن من اغراقها بسيول الهجرة اليهودية الطاغية واجلاء الشعب العربى عن وطنه المقدس ظلما وعدوانا وها قد كشفت الحكومة البريطانية لاخر مرة عن سوء نيتها ازاء العرب بحسبانها وساطة ملوكهم وامرائهم وسيلة من وسائل التخدير لا امر يتعلق بشرف اولئك الملوك والامراء الكرام ازاء الامة العربية التي يحرصون كليا حرصا عليهم ويشعرون بشعورها والامها باكثر مما يتصور ساسة الانكليز لذلك لم يكد يعرض اولئك الوسطاء الكرام اسس وساطاتهم المعقولة حتى ظهرت مداورة الحكومة البريطانية وتكشفت عن نواياها التي كانت وستظل هي العامل الوحيد فى استمرار الاضطرابات في وفشل كل وساطة شريفة قائمة على حسن النية

فلسطين قبر لمصالح الامبراطورية

وانه ليؤسفنا الاسف الشديد ان نعلن بان الصداقة العربية البريطانية التي

تجازف بها الحكومة البريطانية الحاضرة بتحريض من اليهود ستنتهي الى عداء عربي بريطاني خطر ومتى شعر البريطانيون بعظم الكارثة التى تنتظرهم في الشرق ادركوا ان الحديد والنار لا يوطدان السلام وان الظلم الصارخ لا يضمن مستقبل الامبراطورية بل يعد الامة العربية ومن ورائها العالم الاسلامي باسره ليوم عصيب سيجعل من فلسطين قبرا لمصالح الامبراطورية وسمعتها في المشرق والمغرب

التماس يجاب

وبعد ان انفض الاجتماع السري الذي وضع فيه هذا البيان التمست الاجتماع بحضرة كبيرهم على انفراد لاتحدث اليه بضع دقائق ، وتوسط لي بهذا الطلب حضرة الشيخ الوقور (...) الذي اصبحت نزيله ، فاجبت الى طلبي .

في غرفة منفردة

وفي غرفة منفردة متواضعة جلسنا نتحدث كأننا اخوان من عشيرة واحدة ، وكنا خمسة فالقيت على كبيرهم (...) بعض اسئلة اجابني عليها كلها وكان صريحا شان الرجل الذي لا يبالي وهذا ملخص ما فاه به جوابا على اسئلتي قال :

الحديث الشائق

الرجل ، انما خلق في هذه الدنيا للعمل لا للراحة والسكون ، وفي كل ادوار حياتي كنت اميل الى العمل الدائم ، العمل المثمر المفيد للهيئة الاجتماعية كما كنت اكره الخمول والسكون ، وقد تحول هذا الميل في بعدما شاهدت فظائع الاستعمار في بلادنا الى العمل على مناهضة هذا الاستعمار بكل الوسائل ، ولكن جميع تلك الوسائل المتنوعة التى جربت ان اخدم بها بلادى واصون حقوقها من المغتصبين ذهب سدى ، فخلق هذا الوضع في نفسي اعتقاداً راسخاً بانه لا سبيل الى استرداد حقوقنا المغتصبة بالوسائل الديبلوماسية وان الطريق الوحيد هو الطريق الذي سلكته قبلا مع (...) وها انا اسلكه الان مع (بريطانيا) الدولة الحليفة للعرب ، والتي كنا نرجو من محالفتها

خيراً للقضية العربية ، فخاب هذا الامل ، ووجدت ان الواجب القومي والدين يدفعاني للعمل في سبيل فلسطين المنكودة ، وانني اجد في هذا السبيل الشائك كل اللذة ...

اننا لم نقم لسفك دم اي انسان ، وانما قمنا بعملنا هذا لنحافظ على كيان الامة العربية في فلسطين فان السياسة الملتويه المتبعة فيها ستنتهي حتما الى تهويد فلسطين واجلاء سكانها العرب عنها . لذلك وجب تعديل هذه السياسة وتغييرها تغييراً اساسيا يضمن حقوق العرب فيأمنون على كيانهم ومستقبل ابنائهم ..

وفى كل لحظة نشعر بان السياسة البريطانية قد غيرت طرازادارتها في فلسطين تغيرا اساسيا يمكننا من مد يدنا لمصافحتها شأن الرجل الذي لا يبغي سوى حقه . فاذا اعطى له هذا الحق لم يجد ما يقوله سوى الشكر

الحديث السرى

وقد زاد على ماتقدم بحديث سرى طلب الي عدم نشره الان مراعاة للظروف ثم وجهت اليه سؤالا آخر . فتبسم ضاحكا وقال انك تجد ما يعنيك عن جوابى في صدر جريدة عربية سأدلك عليها (وافضى الي باسم تلك الجريدة)

فى ضيافتنا

وبعد لحظة سلمنى صورته هدية الي وقال كنت اود ان نبحث اكثر مما بحثنا ولكن الوقت ضيق الان ، وستبقى في ضيافتنا ثلاثة ايام لترى بعينك وتسمع باذنك . ثم ودعني هو وصاحبه . وخرجنا يصحبنا صاحبي وبعض من صدر لهم الامر بمرافقتنا

قبيل طلوع الفجر

وكان الوقت قد اصبح سحرا ، وبينما نحن نتهيأ للنوم سمعت جلبة وضوضاء وصوت ينادي : الله اكبر . الله اكبر . فقلت لصاحبي ماذا عساهم يقولون هل بدأت المعركة . قال كلا بل ان المؤذن يؤذن آذان الفجر

الصلاة خير من النوم

وسمعت مناديا ينادى . الله اكبر . الله اكبر ... الصلاة خير من النوم فعدت عن عزمي على النوم . وقلت والله سوف لا انام قبل ان اشاهد ماذا عساهم يصنعون

روعة المنظر

وقد رايت مشهدا ذا روعة يأخذ بمجامع القلوب ويستهوي الابصار رايت اجنادا تقبل على ما يسمونه الوضوء فى الاسلام . فكان يغسل احدهم يديه ثم يتمضمض فينظف فمه من فضلات الطعام وفساد اللعاب ثم يستنشق فينظف انفه من الادران ثم يغسل وجهه ثلاثا . ثم يديه اليمني واليسرى حتى اعلى المرفقين ثم يغسل رجليه فينظفهما تنظيفا دقيقا .. ثم يقوم مستقبلا القبلة حيث يجلس في الصف الذي يصله

الصفوف الكثيرة

وقد رأيت صفوفا من هؤلاء المصلين عديدة تقدر بالمئات . وبعد ان اتموا وضوءهم انتصب الشيخ الوقور اماما بهم فصلوا خشعا ركعا سجدا صلاة الفجر

بعد الصلاة

وبعد اداء الصلاة وقف الشيخ الوقور خطيبا . فحمد الله واثنى عليه . ثم قال : ايها الاخوان . ايها الابناء كيف حالكم . هل من حاجة لاحدكم ؟.. هل يشكو احدكم من شيء ؟ هل عرض لاحدكم ما يوجب ان تحدثني به ؟ فاجيب بالنفي من الجميع على هذه الاسئلة . وكانت الوجوه يعلوها البشر ثم تفرقوا الى امكنتهم حيث كان طعام الصباح قد هيء لهم . اما انا فقد رجعت وصاحبي الى بيت مضيفنا حيث شربنا القهوة العربية الفاخرة ، وتناولنا طعام الصباح وكان التعب قد فعل فعله في جسمي . وطلبت من مضيفي ان يسمح لي ولرفيقي بالاستراحة في غرفة منفردة . وكان الامر كذلك

الصحو من النوم

صحوت من نومي في الساعة الحادية عشرة قبل ظهر ذلك اليوم . وقمت تواً افتش على الجماعة لاشبع ناظري من تلك المشاهد الخلابة المدهشة ولكن رجعت آسفا حزينا . اذ انني لم اجد احدا منهم قط . وكلما سألت واحدا من اهل القرية عنهم قال لي ـ مالك ياهذا ؟! هل انت مجنون . ام انك حالم. لايوجد عندنا احد ! فقلت في نفسي : لعلي حالم (ياناس) فعلا ولكن لا.لا لست بحالم بل ان كل شيء رأيته كان حقيقة وترك في نفسي اثرا خالدا

اين المضيف !!

فتشت على المضيف الذي آوانا واطعمنا واكرم مثوانا . واحسن وفادتنا لاستعلم منه عن سر هذا السفر المفاجيء فلم اجده . وسألت بعض النسوة اللواتي خلفهن في البيت عن مقره . فقيل لي انه شمل اي ذهب الى الشمال .. واجتهدت ان افهم اكثر من هذا فلم افز بطائل

الخطر المحدق بنا

وشعرت فجأة ان الخطر محدق بي وبرفيقي اذا لم نسرع في مغادرة القرية اذ علمت ان الجنود البريطانيين سيؤمونها بعد ساعة للتفتيش واذا صادفونا فسنكون عرضة للسؤال والجواب وقد نقع في مشكلة نحن في غنى عنها..!!

العودة ...

وتجنبا لحدوث ما يعكر صفو هذه الرحلة اسرعت ورفيقي الى فرسينا فركبناها وسرنا في اتجاه عينه رفيقي حيث لا نلتقي مع الجند في الطريق المنتظر قدومهم منها وكان الوقت ظهرا وما ان قطعنا مسافة ساعة من الزمن حتى صار العرق يتصبب من جباهنا لشدة الحر

ولكن الرحلة لم تنته

التفت فجأة الى رفيقي ، وقلت له والله انني لن اعود حتى اتم رحلتي

هذه فاجوب معاقل الثوار وحصونهم . اجتمع الى خاصتهم وعامتهم لاقف على حقائق يجب الاطلاع عليها واذا عدت الى بلادي فسأكتب فصولا عن هذه الرحله تنطبق على الحقيقة والامر الواقع فكاشفت صاحبي بالامر وسالته اذا كان يساعدني على اتمام هذه الرحلة فلم يبد ممانعة واظهر من كرم الاخلاق ما لا يستغرب من عربى ابت عليه شهامته ان يتركنى في الجبال فريدا فقال ما دمت قد تحققت صدقك واخلاصك فسأراقك حتي تنتهى من رحلتك هذه وتصل الى هدفك ما دام هذا الهدف ساميا

تغيير وجهة السير

ولما علم صاحبى برغبتي قال اذن لنغير وجهة سيرنا فنسير في مستوى الطريق الجبلية التي توصلنا الى مركز قريب من المراكز التي يمكننا ان نصل منها الى هدفنا . فسرنا في اتجاه اخر والصخور النابتة تعترضنا وكنا نترجل عن فرسينا ونمشى على الاقدام في مشقة زائدة

صعوبة السير

وكان السير متعذرا جدا لكثافة الاشواك وكثرة الاعشاب والصخور وكنا نترقب الوقوع على شجرة لنتقي بظلها من الحر الشديد الذي كاد يصرعني اما صاحبي فلم يتأثر من الحرارة مثلي لانه اعتاد مثل هذه الحياة الخشنة وقد ادركت في تلك الساعة حكمة القول المأثور تخوشنوا فان النعم لا تدوم ، وهو ما كان يردده رفيقي العربي عند التعرض للصعوبات

السابحة فى الهواء

وفجأة حلقت فوقنا طيارة حربية بريطانية وحامت حولنا مرات عدة ، ثم هبطت الى مستوى قريب جداً لتتأكد اذا كنا نحمل سلاحاً .!! ولكنني وصاحبي لم نكن نحمل السلاح بالطبع وكان منظرنا يدعو الى الريبة والشك فلم تتعرض لنا بسوء ، على انني عندما شاهدتها فوق رأسي ارتعدت ، ولكن ماذا عساي ان افعل غير الصبر والثبات ، وكأن رفيقي قد ادرك مني هذا فقال لي بلهجة المؤمن المطمئن لا تخف يا صاح ، فالاجل محتوم ، وقد جاء

في القرآن الكريم الذي هو دستورنا الاية الكريمة القائلة : « فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون » فاضطررت ان اظهر لرفيقي تجلدا وصبرا، حتى لا يتراجع عن مرافقتي واتمام الرحلة ، وقلت في نفسي سوف اقدم له « اكرامية » حسنة متى عدنا بالسلامة الى بلده .

« الاكرامية » : قضى بأباء ..!!

وخطر لي ان الح له عن هذه الاكرامية ليزداد ثباتاً ، ولكن القصد جاء معكوساً ، اذ ما كدت الفظ كلمة « الاكرامية » حتى اشاح بوجهه عني ، وقال لي ما كنت انتظر منك ان توجه الي هذه الاهانة ، فاعتذرت له وتابعنا السير حتى وصلنا الى كهف كثيف الاشجار

المفاجأة المدهشة

وقبل ان ندخل الكهف ، لمحت عن بعد بريقاً يأخذ بالابصار ، فقلت لصاحبي ما هذا ؟؟ قال لعلهم جنود قلت.اذن حول وجهة سيرنا الى ناحية اخرى ، قال لا سبيل الى ذلك واذا كان هؤلاء من جنود الحكومة فسنغدو عرضة للاعتقال ... قلت وماذا عسانا نفعل الان؟؟ قال نواصل السير ونتوكل على الله .. قلت وهو كذلك .!!

الرصاص .. الرصاص ..!

وفجأة سمعنا ازيز الرصاص ، فترجلنا حالا ووقفنا في ظل صخرة كبيرة نترقب النتيجة ، واذا المعركة دائرة بين الطائرات ومن في داخل ذلك الحرش الجبلي واذا بالرصاص يتساقط من الطائرات السابحات في الهواء كالمطر ، فقلت في نفسي ، هذا ما كنت اخشاه والتفت الى صاحبي فسألته رأيه في الامر قال : قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ... واشار علي بالسكون وعدم الحركة فصدعت بامره وحاذيت الصخرة حتى كدت اصبح قطعة منها وقد كانت لحسن الحظ ناتئة ، تقيني حرارة الشمس والرصاص المتساقط .

المسافة بعيدة

وكانت المسافة قريبة بيننا وبين من بالكهف ، لا تتجاوز الثلاثمئة متر

لذلك كان الرصاص الذي يطلق عليهم من الطائرات يصيب اطرافنا بعض الاحيان ، فتتطاير شظايا الصخور على اجسامنـا ، ولكن الله لطف وسلم فلم نصب بسوء ودامت المعركة طويلا ، ونحن صابرون ، والجوع يشتد بنا وكذلك العطش ، ولكن لا سبيل لنا غير الصبر ، فصبرنا ، وصبرنا ، حتى انتهت المعركه بنتائج نشرتها الصحف العربية في حينها ، وقد ضحكت عندما قرأت ما جاء في الصحف عن هذه المعركة اذ انه كان عشر معشار مارأيناه ولكن الصحف العربية معذورة ، لانه ليس لها مندوب مرافق للجـند ، ولا آخر للثوار فمن العبث اذن ان تتمكن من الاتيان بوصف ينطبق على الحقيقة الواقعة ، هذا عدا عن ان الحالة الاستثنائية في البـلاد لا تسمح للصحفيين بايراد مايتصل بهم من الانباء !!

بعد انتهاء المعركة

وكنت انتظر انتهاء المعركة بفارغ الصبر لنتمكن من الوصول الى سكان الغاب ..! ونتناول شيئا من الزاد ، على اننا واصلنا السير بحذر خشية ان تداهمنا الطائرات بغتة وتقذفنا بحممها حتى وصلنا الغاب ، فلم نجد فيه احداً من اولئك الذين توهمنا وجودهم فتملكتني الدهشة وقلت لصاحبي اين هم سكان هذا الغاب ؟ قال : ليس لهذا الغاب سكان ، وانما هم فريق من الثوار سكان الجبال ، يسكنون اليوم هنا ، وغداً هناك ، فلا يستقرون في مكان معين . وعبثا حاولت معرفة الجهة التي اتجهوا اليها فلم افلح لان انسحابهم على ما يظهر كان اثناء تحليق الطائرات ، فلم نكن نتمكن من مراقبة حركاتهم .

الجوع والظمأ

جعنا وظمئنا وتعبنا ولم اعد اقوى على السير فتملت لرفيقي ان يسير بنا الى اقرب قرية لنسد رمقنا : فسار في طريق مختصر في بطن احد الوديان وفجأة طلع علينا اشخاص مسلحون فصوبوا بنادقهم الينا وطلبوا منا ان نرفع ايدينا فرفعناها وقلت في نفسي هذه خاتمة المضيق وفي لحظات لا تتجاوز العشر الثواني خطرت لي عدة خواطر وبينما انا سابح في هذه الاوهام كان رفيقي قد تفاهم معهم

التبدل السريع

وعلى الاثر انقلب اولئك الرجال من اعداء الى اصدقاء ، فرحبوا بي واجمل ترحيب وهدؤا من روعي وطمنوني وكان اول شيء تبادر الى ذهني ان اسالهم ان كانوا يحملون زادا وماء فجسرت وسألتهم عن ذلك فقالوا مرحبا واهلا ثم قدموا لي ولرفيقي شيئا من الزاد والماء فاكلنا وشربنا حتي اكتفينا

الاستعلام — والتفاهم

وبعد ذلك جلسنا مع هؤلاء الرجال نتحدث ونستجلي غوامضهم فعلمت انهم يؤلفون مفرزة من المفارز ... ولم يزيدوا على ذلك فطلبنا اليهم ان يعينوا لنا الطريق الذى يجب اتباعه للوصول الى المقر العام فعينوه لنا

قبيل الغروب

وقبيل الغروب افترقنا وسرنا في طريق متعرجة شائكة صعودا وهبوطا ثم صعودا وهبوطا حتي خيم الظلام

واصبحنا في مأمن من شر الطائرات وحرارة الشمس المحرقة، وعلى ذكر الطائرات قاذفات القنابل انقل مقالا قيما نشرته جريدة الجامعة الاسلامية في هذا الصدد حول تصرفات السلطة وقذف الطائرات دبجته براعة سماحة منشئها وهذا هو .

مسألة قانونية مهمة

حول تصرفات السلطة

هل نحن في حرب نظامية مع بريطانيا

الطائرات القاذفات للقنابل لا يجوز استعمالها

من يلقى نظرة على هذه الثورة الفلسطينيه ، ويستعرض مامرت فيه من الادوار ، وما قدمه الشعب العربى من قرابين وما صدر عن الحكومة التي

تزعم انها جاءت للهداية والارشاد باسم الانتداب من تصرفات بجزم لاول مرة بان هذه الحكومة تحسب نفسها مطلقة التصرف ، مطلقة اليد ، تعمل ما تشاء وتستوحى ما ترى الاستيحاء منه من مظاهر قوة ومصادر بطش

وكان العرب في هذه البلاد كمية مهملة او كانهم انعام سائمة لاقيمة لدمائهم ولا ثمن لحريتهم وحياتهم ولا من يسأل عنهم

اين «عصابة» الامم

بل كان تلك العصابة المسماة بعصبة الامم لا وجود لها في الدنيا . وكان عقارب الشفقة ، وافاعى الرحمة والغيرة التي كانت تتحرك بل تتحرق غضبا لما يحدث في الحبشة ، وكان كل ذلك ذهب بذهاب الحبشة ، بل كانه تدبير خاص في زمان خاص ومن اجل شعب خاص

بل ان تلك المعاهدات التي اقرتها بضع وخمسون دولة . وقالت فيها ان قذف الطائرات للشعوب الامنة بالقنابل امر محظور قانونا .. الى آخر ما تواضعت الدول على تحريمه ، ان كل ذلك انما حرم في غير فلسطين وفي غير العرب

اما العرب فلا ضير من تسليط الطائرات عليهم تقذفهم بما شاءت..

اما فلسطين فهى وان كانت في صميم الشرق الادنى فهى من اجل مصلحة بريطانيا تحسب من الاقطار النائية التي يجوز استعمال الطائرات قاذفات القنابل فيها

سخافة المباديء الدولية

واذن فلا قانون ، ولا مشاهدات ، ولا حقوق ، ولا مباديء عدل ، ولا قواعد دولية ، وكل ما تشدقت به تلك الدول كذب . وكل ما شرعته من قوانين ومعاهدات في العصبة رياء وزور

والا فما بال هذه الدول التي لها ممثلون في فلسطين ، تشهد ما تشهد وتسمع بالسنة ممثلوها ما تسمع ، ترى ما يجترح في فلسطين من مناكر وما ترتكبه القوة من كبائر

ترى الطائرات التي اقرت تحريم استعمالها قد باتت ذريعة مشروعة ووسيلة من وسائل القوة لاغبار عليها

كلها كاذبة مرائية

نحن منذ وطنا النفس على جهادنا السلمى فى فلسطين لم نفكر قط في التماس المعونة من هذه الدول الصماء القلوب ، فنحن نعلم انها كلها كاذبة مرائية ولكننا كنا ننتظر ان الذين يتظاهرون بالتقرب من العرب بالاقوال المجردة

ثم يرون ما ينزل بالعرب مما تحظره القوانين والمعاهدات التي اقروها ، كنا ننتظر منهم غير هذا فاذا بهم لا يتحرك لهم لسان ولا يجزون خصومهم فرصة بفرصة.

على ابواب القرى

سرنا في وسط تلك الجبال الشاهقة يجللنا الظلام مسافة طويلة اشرفنا بعدها على قرية جبلية وكان التعب قد انهكنا فقلت لرفيقي حسن جدا ان نمضي ليلتنا في هذه القرية فنستريح من وعثاء السفر وفي الصباح نواصل السير ، وهكذا كان فقد نزلنا ضيوفا على احد الوجهاء من اصدقاء رفيقي وبتنا ليلتنا في بيئة معززين مكرمين

في الصباح الباكر

وفي الصباح الباكر نهضنا على صوت جلبة وضوضاء وسألنا عن جلية الخبر فقيل لنا ان الجنود البريطانيين داهموا القرية وطوقوها بقصد التفتيش فقلت لصاحبي ماذا يجب ان اقول لهؤلاء الجنود اذا سألوني عن سبب وجودي هنا ، قال لا بأس عليك فسأقول لهم انك ضيفي وانك انما جئت الى هنا للاستطلاع والتفرج . !! ولكن التفتيش تم وغادر الجنود القرية دون ان يروني اواراهم فحمدت الله على ذلك وقلت لرفيقي هيا بنا الى حيث نقصد . وبعد ان قدم لنا ضيفنا طعام الصباح ودعناه وانصرفنا شاكرين

ركبنا فرسينا في الساعة السادسة صباحاً وسرنا في طريقنا الى قمم المجد والفخار حيث الرجولة الكاملة والعظمة والمجد ...

تتمة الرحلة

في الجـــزء الثاني

« يصدر قريباً »

